نحو مقاربة ذكية لمحاربة التطرف العنيف

محمد المهدي ولد محمد البشير

mdelmehdi@gmail.com

I. مقدمة تمهيدية

إذا كان من السهل ربط نزعة التطرف الفكرية التي ظهرت بين الشباب المسلم وتبني هؤلاء الشباب للعنف وسيلة للتغيير الحضاري إلى النصف الثاني من القرن 20 ـ فإن تحول هذه النزعة من حالة عابرة إلى حالة عالمية مخيفة في بداية القرن 21، يبين أن هذا النزعة لم تكن اتجاها عارضا سببته مؤثرات عابرة وانه سيختفي باختفائها ، بل إنه قناعة لم تنتجها ردة فعل ظرفية غاضبة، أو "مثير وحيد" يمكن تحديده بسهولة، وتحييده بيسر، بل هي "مركب من قناعة فكرية وممارسة سلوكية" يعود إلى مزيج من الشعور النفسي، والمؤثرات الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، تؤطرها مفاهيم دينية انتزعت من نسقها الدلالي، وسياقها التاريخي، وتم شحنها إيديولوجيا بغية توظيفها في صراع محلي وعالمي.

لقد برزت هذه النزعة استجابة دينية وثقافية ونفسية لنوعين من المثيرات:

- مثيرات خارجية : (الصدمة الحضارية، والسياسات الغربية، والعولمة القسرية)
- مثيرات داخلية : (الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، والتخلف الاقتصادي، وفشل التنمية، وانتشار البطالة والفقر)

وستسعى هذه الورقة إلى التركيز على المؤثر الديني، باعتباره العامل الرئيس الذي طالما ربطت به هذه الظاهرة ابتداء، قبل أن يتم

الاستنجاد به – لاحقا - باعتباره أحد أهم مفاتيح الحل المنشود، بعيدا عن الرؤية الوعظية العاطفية، أو المقاربة الأمنية القاصرة، انطلاقا من مدخل عام يتضمن إشكالية تحدد مكمن الخلل الفكري انطلاقا من وضع ظاهرة العنف في سياقها الثقافي والتاريخي، وصولا إلى "مرحلة المراجعات الفكرية" ثم " تجارب الحوار" مع المتشددين في ثلاث دول عربية في مجال المقاربة الذكية" أو "الحل الناعم" وهي اليمن والسعودية وموريتانيا.

لقد أدى وجود خطاب إسلامي غير واع باللحظة الحضارية التي تمر بها الأمة الإسلامية وما تقتضيه هذه اللحظة من تجديد في بنية الثقافة والفكر وإصلاح مناهج التفكير والتربية والتعليم وطرق تشكيل الوعي وبناء القيم إلى :

- تأجيج عواطف الشباب المسلم الدينية
- زيادة وعيهم بما يعانيه المسلمون من مآس في أنحاء العالم
- وإذكاء شعورهم ببعد المجتمع الإسلامي المعاصر عما يجب أن يكون عليه
- تقصير الدولة الاسلامية وقصور خطاب الحركات الاسلامية عن تأسيس بنية ثقافية قادرة على استيعاب التحولات الحضارية المعاصرة، أو تصور الحلول الممكنة في ضوء هذه التحولات

مما سهل على دعاة العنف السياسي استغلالَ هذه المشاعر العاطفية، "التراث الثقافي" الذي لم تتم غربلته، والوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المعقد، لنشر فكر العنف بين شباب لا ينقصهم الحماس ولا حب تغيير الواقع، ولا الغيرة على أمتهم التي فقدت "فاعليتها الحضارية"، ولا كرههم للآخر الذي كان عدو الأمس، ثم صار "القوة المهيمنة التي تتحكم في مصير شعوب الارض - اليوم - مما أوجد حالة من الاحتقان والصدام

بين هؤلاء الشباب وبين الأنظمة الحاكمة في العالم العربي قبل أن ينتقل هذا الصدام في سياق جدلية (العدو القريب والعدو البعيد) الى الغرب نفسه؛ وقد تنبه الشيخ راشد الغنوشي والدكتور حسن الترابي إلى هذه الوضع الشاذ باكرا فنبها إلى ضرورة :"إيجاد مجالات لتفريغ طاقات الشباب الذين تملأهم الحركة بالحماس؛ لأنه إن لم توجد هذه المجالات تعرضت الحركة لكثير من الانحرافات ليست ظاهرة التكفير والهجرة إلا نتيجة لعمل إسلامي لم يوجد مجالات للتغيير في المجتمع، كالنهر المتدفق الذي ينساب في جوانب مختلفة إذا لم يشق الطريق أمامه" (الحركة الإسلامية والتحديث)، ولا يبعد هذا كثيرا من مقولة إيمانويل كانت "إن الإنسان الضار بمجتمعه ليس عالما تماما، وليس جاهلا تماما، وإنما هو شخص لم يتعلم بما يكفى ليكون نافعا، ولم يكن جاهلا بما يكفى ليكف أذاه عن الآخرين" .

لهذا رأى بعض الباحثين أن الصحوة الإسلامية :" امتزجت في الواقع الاجتماعي العربي بظاهرة الغلو في الدين، وبالعنف في السلوك والمعاملة" (كتاب الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي)
ثم ان هذا التوجه الحركي وما صاحبه من أخطاء أوجد بيئة ثقافية حاضنة للعنف وهي:

- سرية التنظيم وبنائه الهرمي القائم على الطاعة العمياء للقيادة
- تكبيل عقول أعضاء التنظيم بفريضة البيعة
- تحويل مفاهيم الإسلام الجامعة إلى مفاهيم حركية مفرقة
- تقديس التنظيم والخلط بينه وبين الدين
- العصبية الحزبية المدمرة

ليبزر الشاب المسلم الحركي وهو شخص يتسم ببعض السمات التي نذكر منها

1. **الميل إلى العزلة** للانفصال عن البيئة الاجتماعية - النفسية وصولا إلى الإحساس بالانتماء والهوية الجديدة
2. **التعصب** في المعتقدات والتعاليم ورفض إدخال أية قيم جديدة إلى الإطار الإيديولوجي
3. **الاستعلاء** نتيجة الإحساس بالتفوق الذاتي الذي يعطيه الانضمام إلى "مجتمع جديد"
4. **الحركية** في سعيه إلى فرض سلوكياته ومعتقداته
5. **الاستبداد** في الرأي والتصرف
6. **المثالية** بإظهار أرفع معنى للمثالية والإخلاص وأداء الواجب بالتزام نموذجي أمام الآخرين
7. **الطاعة** (البدري جمال، السيف الأخضر دراسة في الأصولية الإسلامية المعاصرة) .

II. السياق الثقافي والتاريخي لإشكالية العنف

وهذا ما يبين أن "العنف" الذي تمارسه الجماعات المتطرفة - باسم الدين - ليس فعلا جنائيا يستهدف قتل الأبرياء لإزهاق أرواحهم أو أخذ أموالهم لأسباب إجرامية بحتة، وليس عملا انتقاميا يهدف إلى إيذاء العدو من أجل ارضاء النفس، بل هو فعل يقترفه أصحابه بدافع ديني ظاهر - وإن كانت له أسباب أخرى خفية قد لا يدركونها هم انفسهم - فهم يعتقدون أنهم يتحركون تبعا لقناعات دينية بهدف

أ. التقرب الى الله تعالى
ب. إقامة شرع الله (فرض فهمهم للدين على الآخرين بالقوة، وتجسيد هذا الفهم على أرض الواقع)

وهذا ما يبين أن الأفعال التي يقومون بها – حتى وإن وصفت بأنها إرهابية، ومخالفة لتعاليم الإسلام في نظر غيرهم، والقوانين الدولية التي لا

يؤمنون بها اصلا- إنما تستمد شرعيتها الدينية ومبرراتها من "المنظومة الفكرية" التي تشكل عقليات هؤلاء الشباب وتصورهم للدين ورؤيتهم لوظيفة المسلم في الحياة، وطبيعة العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم، وهذه الرؤية هي التي تحدد منهجهم العملي للتغيير الحضاري الذي ينشدونه.

وهنا نتذكر الإشكالية أو المفارقة بين إسلام عبد الرحمن الموريتاني الذي لا يستطيع النوم بسبب ندمه على قتل ابن آوى ويخاف أن يمنعه ذلك من دخول الجنة، وبين إسلام منفذي هجمات 11 سبتمبر، التي أوردها المفكر الفرنسي ميشل اونفري وعلق عليها بقوله "أما أن يكون هذا المغتبط الطامح للجنة يتقاسم نفس الدين مع زبانية الحادي عشر من سبتمبر فيبدو أمرا غريبا؛ فالأول يحمل ثقل ابن آوى قتل صدفة، بينما ينعم الآخرون بكونهم آبادوا أكبر عدد من الأبرياء " .

أنا اعتقد أن مكمن الخلل هو أن الشباب المسلم ما زالوا يتلقون مفاهيمهم الدينية وثقافتهم الشرعية التي تحدد "قناعاتهم" من كتب "فقهية" و"تفسيرية" تأثرت بمؤثرين كبيرين :

1) **سياقها التاريخي :** حيث ألفت في ظروف تاريخية كان العداء فيها يسود علاقات الأمم والشعوب، وتنعدم فيها الثقة المتبادلة، وتغيب المصالح المشتركة، والاحساس بالمصير الواحد، وتطغى فيها مؤثرات أجواء الحرب والخوف وثقافة الحقد، وتتضاءل مشاعر الحب والتسامح، وهو ما تجسده مؤلفات كثيرة نذكر منها كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم"؛ الذي ألفه أثناء حروب التتار مع المسلمين؛ يقول الدكتور طه جابر العلواني إن من يُفتي بما في هذا الكتاب المهم "من فتاوى الشيخ واجتهاداته في تلك المرحلة دون ملاحظة تلك الظروف فإنَّه سوف يكون مجازفًا في فتواه، وسوف يجد نفسه -

ولو بعد عقود- مضطرًا للقيام بمراجعات، بعد أن يكون الكثيرون قد عملوا بتلك الآراء والفتاوى وسارت بها الركبان"

2)**واقع الامة المسلمة عند تصنيف تلك الكتب،** فقد ألفت في مرحلتين تاريخيتين، كان يسيطر على المسلمين في كل واحدة منهما شعور نفسي لا يشجع - نظريا - على التسامح وإقامة العلاقات على أساس السلم والتعايش بين المسلمين وبين غيرهم، وكان لتلك المرحلتين تأثيرهما على تفكير المسلمين ونتاجهم في الفقه والتفسير

المرحلة الأولى : سيطرت على المسلمين فيها نشوة النصر والشعور بالاستعلاء وأنهم الأقوى عسكريا والأكثر قدرة على فرض إرادتهم، نتيجة اختلال موازين القوة العسكرية لصالح دولتهم؛ مما سمح لهم بالتنظير لأحكام اجتهادية تناسب نفسية المتغلب المنتصر الفاتح وهذا ما نجده واضحا في قول كثير من الفقهاء بأن آية السيف "نسخت كل موادعة في القرآن أو مهادنة وما جرى مجرى ذلك وهي على ما ذكر مائة آية وأربع عشرة آية" (تفسير ابن عطية 8/3) أو انها :" نسخت كل شيء من العفو والصلح والصفح" (تفسر القرطبي 205/8)، وأنها نسخت:" مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم" (تفسير ابن جزي 1/ 21)، ويلخصه قول خليل ابن اسحاق في مختصره:"ودعوا للإسلام ثم جزية بمحل يؤمن وإلا قوتلوا وقتلوا". وقوله أيضا :" للإمام المهادنة لمصلحة .. وندب أن لا تزيد على أربعة أشهر" وقوله:" ومنع - يعني الذمي - ركوب الخيل والبغال والسروج وجادة الطريق وألزم بلبس يميزه وعزر لترك الزنار"..

- **المرحلة الثانية:** هيمنت على المسلمين فيها قناعة بوجود عداء أزلي بينهم وبين غيرهم من الأمم الأخرى بسبب الحروب والخلاف العقدي. وأنهم مستهدفون بسبب عقيدتهم ودينهم (ما بعد سقوط غرناطة 1492 م، ثم اشتد بعد معركة نافارين 1827م)،

في هذه الظروف التاريخية ظهرت كتب في تفسير القرآن الكريم و مصنفات فقهية ترى أن العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم من الشعوب الأخرى لا يمكن أن تقوم إلا على أساس العداء؛ مما جعل مؤلفيها يبحثون عن النصوص الشرعية التي وردت على وقائع تاريخية خاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ليعمموها في كل زمان ومكان، لأنهم كانوا يصوغون أسس نظرية لتبرير "الحرب" والتحريض على "الفتح" ويؤسسون "لفقه سلطاني" يبرره، يقول القاضي عبد الوهاب البغدادي: " ولا يُكف عنهم إلا أن يدخلوا في ديننا، أو يؤدوا الجزية في بلدنا"- أما السرخسي فيذهب أبعد من ذلك فيقول : " إن قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين) وإن خص منه أهل الذمة وغيرهم فمن لا أمان له يجب قتله لأنه مشرك" (السرخسي 2/83-84) .

بينما كان المنتظر من هؤلاء الفقهاء أن يضعوا قواعد "نظرية" لفقه السلم والتعايش بين بني البشر على أساس " وحدة الأصل" ووجوب نشر "العدل" و"الحرية" و"الرحمة" و"الأخوة" بين "بني آدم" بما من شأنه أن يحقق الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان وهي : "عمارة الأرض" وتحقيق مقتضى "خلافة الإنسان" فيها. ولا بأس أن يصوغوا اجتهادات فقهية تلبي حاجات الأمة في الحالات الاستثنائية حسب فقه الضرورة.

فلما تغيرت العلاقات الدولية في نهاية القرن 19 وانتقل المسلمون من أمة "فاتحة" منتصرة إلى أمة "مغزوة" مهزومة، واضمحلت قوة "الخلافة الإسلامية" - وجد المسلمون أنفسهم أمام واقع جديد:

- انتهاء زمن الدولة الإسلامية الواحدة سنة 1924م
- وقوع المسلمين تحت هيمنة الاستعمار الغربي
- تحول التوسع و"الفتح" إلى عمل مصنف دوليا في خانة انتهاك سيادة الدول، وتهديد السلم والأمن الدوليين.

- ظهور اتفاقيات دولية لحماية حقوق الإنسان، وإعلان دول العالم عن رغبتها في إرساء السلم والتسامح والتعاون مبادئ عالمية يسعى الجميع إلى تحقيقها، مما أدى إلى انقسام الفقهاء إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: ارتأى أن يراجع الاجتهادات الفقهية التي شكلت الأساس الفكري الذي قام عليه تصور المسلمين للعلاقة مع الآخر عبر الحقب التاريخية الماضية نتيجة التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية "تغير الواقع"، بهدف إحداث قطيعة معرفية مع "الفقه السلطاني" الموروث.

لكن هذا الاتجاه ما زال أصحابه يمثلون أقلية من نخبة الفقهاء والمفكرين. ومن اصحاب هذا الاتجاه الدكتور طه جابر العلواني الذي رحب بمراجعات الجماعات الإسلامية، ودعا إلى :"أن تكون مراجعات شاملة للأصول والفروع والمنهج، بحيث يترتب عليها تصحيح مناهج النظر في الأصول والقواعد والمنطلقات التي انطلق منها هؤلاء وأسَّسوا عليها ذلك الفقه المرجوع عنه، وألاّ يقتصروا على القيام بانتقاء فتاوى أخف بعد أن أخذوا بالأثقل والأشد قبلها، فذلك لن يعالج الأزمة، ولن يحلَّ الإشكاليَّة" اهـ.

الاتجاه الثاني : دفعه احترام **"فقه السلف"** واختلال العلاقة بين المسلمين وبين الغرب واعتلالها في العصر الحديث إلى التمسك بالاجتهادات الفقهية الموروثة، ومواصلة التنظير لوجوب بناء العلاقة مع "الغرب " على أساس العداء، بناء على المبررات التالية:

1. وجود اجتهادات فقهية في التراث الإسلامي تنظر للعلاقة بين المسلمين وبين غيرهم على أساس "العداء" وهي الاجتهادات التي ظهرت في مرحلة الصدام بين المسلمين وبين غيرهم.
2. عدم إحداث قطيعة معرفية مع تلك الاجتهادات الفقهية التي ظهرت في المرحلتين المبينتين اعلاه، واعتبارها أحكاما شرعية صالحة لكل زمان ومكان، لا مجرد اجتهادات فقهية بشرية مؤقتة .

3. وجود صور نمطية لدى المسلمين عن الآخر تشكلت عبر التاريخ وعززتها الحروب الصليبية وزادها الاستعمار الحديث وما استتبعه من مقاومة وجهاد.
4. انحياز الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية للكيان الصهيوني
5. التدخل العسكري السافر في الدول العربية والإسلامية تنفيذا لأجندة سياسية وإستراتيجية لا تمت إلى العدل وحقوق الإنسان بصلة .
6. انحياز الغرب لأنظمة الاستبداد في العالم العربي وحمايته لها على حساب الشعوب

وهذا ما أدى إلى تقاعس أصحاب هذا الاتجاه الفكري عن القيام بمراجعة فكرية للمفاهيم الفقهية الموروثة عن الحقب الماضية، وذلك لسببين :

أ. **غياب مشروع فكري تجديدي شامل** من شأنه أن يفكك البنية الثقافية القائمة ويعيد بناءها على أسس جديدة قادرة على تحرير التفكير وتحقيق مصالحة وجدانية بين المسلمين وبين الواقع الذي يعيشونه والمشروع الحضاري الذي يسعون إلى تحقيقه.

ب. اعتقاد طائفة من أصحاب هذا الاتجاه أن موازين القوة المختلة بين العالم العربي والعالم الإسلامي لن يغيرها إلا إعلان الجهاد على "الحكام الذين يحكمون بغير ما انزله الله" و"غير المسلمين" بنفس المنطق والمبررات التي يعتقدون أن الجهاد شرع من أجلها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

III. العالم العربي في مواجهة للتطرف العنيف

لا يمكن للتطرف العنيف أن يبرز للوجود ما لم يمر بمرحلتين تمثل الأولى منهما مقدمة ثم تتلوها الثانية التي هي نتيجة لها:

1) **المرحلة الأولى: الوجود بالقوة** (وهي مرحلة التبني الإيديولوجي والتنظير الفكري)، وفي هذه المرحلة يعتنق الشباب الذين لديهم قابلية نفسية واجتماعية وثقافية "الفكر المتطرف" نتيجة خطأ في فهم النص الديني، أو القصور في المنهج المعرفي، أو العجز عن مواءمة بين مقتضيات النص، وشروط الفعل، أو شحن إيديولوجي مفرط، ثم يبدؤون في نشر فكرهم بين الشباب، وتحديد أهدافهم، ومبررات قيام تنظيماتهم، ثم استقطاب الشباب

وعندما يفشل المجتمع في مواجهة "الإرهاب" في هذه المرحلة فإنه يتحول إلى المرحلة الثانية وهي:

2)**وجود الإرهاب بالفعل ..**في هذه المرحلة يبدأ التنظيم في بناء هياكله السرية، ووضع خططه للانتشار والاستقطاب، ثم اختيار الاهداف وتنفيذ العمليات، مما يستدعي مواجهته بالقوة الصلبة والناعمة معا

وإذا كانت الدول العربية تكاد تهمل التطرف في مرحلته الأولى، إلا من باب الملاحقات الأمنية وتفكيك الخلايا، فإنها اعتمدت مقاربات أمنية لمحاربة التطرف في مرحلته الثانية : " الوجود بالفعل" سرعان ما تبين عدم جدواها مما جعل دولا عربية كثيرة تعتمد مقاربة شاملة ترتكز على "استراتيجية ذكية" تهدف إلى محاربة الفكر بالفكر، والتهميش بالدمج، والبطالة بالتشغيل، خاصة بعد ان تكشف لها أن الحل الأمني يتنزل ضمن أهداف الجماعات المتشددة التي تريد أن تعزل المجتمع عن السلطة الحاكمة فتكفر السلطة، وتستثني المجتمع لتكسب تعاطف الشارع وتظهر بمظهر المدافع عن الدين... ثم إن **الحل الأمني لا يتعامل مع ظاهرة التطرف عندما تكون في طور التنظير، وإنما يتعامل معها عندما تنتقل إلى مرحلة تأسيس الخلية، التي قد لا تكتشف إلا بعد أن تباشر التنفيذ،** لأن مرحلة التنظير للتطرف والسرية والتنظيم سابقة على مرحلة ممارسة العنف .

وهذا ما شجع دولا عربية على اعتماد مقاربة جديدة خاصة بعد ظهور المراجعات الفكرية التي قامت بها بعض الجماعات الإسلامية المتشددة

أولا : مراجعات الجماعة الإسلامية في مصر التي بدأتها سنة 1997 وتوجتها سنة 2002 بإصدار سلسلة **"تصحيح المفاهيم" التي** تضمنت أربعة كتب هي:

1. **مبادرة وقف العنف رؤية واقعية ونظرة شرعية**
2. **حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين.**
3. **تسليط الاضواء علي ما وقع في الجهاد من اخطاء**
4. **النصح والتبيين لتصحيح مفاهيم المحتسبين**

ثم اصدر بعض افراد الجماعة كتبا أخرى تندرج ضمن أدب المراجعات مثل :

1. الحاكمية نظرة شرعية ورؤية واقعية د. ناجح ابراهيم 2005
2. الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة . د . كمال حبيب

ويذهب أحد الباحثين إلى أن هذه المراجعات حملت مؤشرات على حدوث تغير في تفكير الجماعة الإسلامية حيث صارت:

- تهتم بمعيار "الجدوى" بعد أن كان لا يهمها إلا معيار "المشروعية الدينية"
- وتقر بأهمية معرفة الواقع عند إصدار الفتاوى الشرعية بعد أن كان فقهها يتمحور حول النص دون اعتبار للواقع
- تضع الصراع مع الدولة المصرية في إطار الظروف الدولية والإقليمية وفي إطار مجريات الصراع العربي الصهيوني ومجمل العلاقة مع الغرب.
- وتتبني موقفا جديدا من التيارات العلمانية

ويرى بعض الباحثين ان فكرة المراجعات بدأت عندما طفق بعض قيادات الجماعة (الدكتور كمال حبيب) يبحث في مجال العلوم السياسية: ويقرأ بتوسع بعيداً عن الكتابات الدينية والتاريخية التقليدية التي شكلت لسنوات طويلة الرافد الرئيس لفكر هذه الجماعات".

ثانيا: مراجعات جماعة الجهاد التي أصدرها أمير الجماعة السيد سيف إمام سنة 2006 في **" وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم"**

ثالثا: مراجعات الجماعة الليبية المقاتلة سنة 2009 ، التي قام بها أعضاء الجماعة ولقيت استحساناً من عدد من العلماء في مختلف أرجاء العالم الإسلامي

وكانت **"استراتيجية الامم المتحدة لمحاربة الارهاب" الصادرة** سنة 2006 ، قد أوصت باعتماد مقاربات ناعمة لمحاربة الارهاب :

- الترويج لثقافة السلام والعدالة والتنمية البشرية، وللتسامح العرقي والوطني والديني
- احترام جميع الأديان أو القيم الدينية أو المعتقدات أو الثقافات
- تشجيع برامج للتثقيف والتوعية العامة تشمل جميع قطاعات المجتمع.
- الحوار بين الأديان وداخلها والحوار بين الحضارات
- السعي إلى تحقيق وتعزيز خطط التنمية والإدماج الاجتماعي على جميع الصعد بوصفها أهدافا قائمة بحد ذاتها.

وقد فتحت هذه المراجعات افقا جديدا لاعتماد مقاربات "ذكية ناعمة" في الدول العربية تقوم على الحوار وفتح باب الامل من جديد أمام الشباب المتشدد للعودة إلى رشدهم، وفي ما يلي استعراض سريع لثلاث من هذه التجارب ثم التعقيب عليها

IV. تجارب "الحل الذكي او القوة الناعمة"

أولا : اليمن وتجربة الحوار الشامل

دشنت اليمن سنة 2002 حوارا مع المتشددين لم ينحصر في جماعة بعينها، ولا في المساجين وحدهم، ولا في مدينة واحدة ، بل إنه شمل جميع الموقوفين علي ذمة التحقيق في قضايا التطرف والإرهاب في جميع السجون اليمنية، وخارجها ممن يحملون الفكر المتطرف. وكان هذا الحوار مفتوحاً على كل الاتجاهات الاسلامية بهدف توضيح المفاهيم الصحيحة للدين الاسلامي الحنيف وتحصين المجتمع اليمني من الغلو والتطرف والعنف باسم الدين".

1. خطة الحوار

وقد اعتمد هذا الحوار على الخطة التالية

أ. **تشكيل الجنة للحوار تضم كبار العلماء** في أغسطس 2002

ب. **تحديد مواضيع الحوار سلفاً قبل الدخول فيه** ثم بحث المواضيع المطروحة في الحوار وتأصيلها من الناحية الشرعية وتحديد مراجع البحث فيها ليسهل الرجوع إلي هذه المواضيع عند الضرورة، سواء بالنسبة للمحاورين أو للطرف الآخر.

ج. **عقد جولات للحوار مع الموقوفين**

- **الجول الاولى** : كانت بداية سبتمبر 2002 ، واستمر قرابة شهر ونصف وقد شملت (104 أشخاص)
- **الجولة الثانية**: كانت في أغسطس 2003 واستمرت 25 يوما، وشمل (120) شخصاً
- **والجولة الثالثة**: كانت في أكتوبر 2003 واستمرت 10 ايام وشمل (22) شخصاً

د. **إصدار بيان نهاية كل جولة حوارية**: يتضمن مقدمة، والمواضيع التي شملها الحوار، ونبذة مختصرة عما دار في الحوار، ثم النتائج التي أسفر عنها، ثم توقيعات المشمولين بالحوار بالكامل

ه. **إصدار بيان من المعتقلين** يعبرون فيه عن اقتناعهم بنتائج الحوار والتزامهم بها

و. **أخذ القسم من المعتقلين بالله** تعلى وإعطاء العهد علي الالتزام بنتائج الحوار- قبل مباشرة الإفراج عنهم – مع ضمانات تجارية شخصية

2. أنواع الحوار في اليمن

اعتمد الفقهاء اليمنيون طريقتين للحوار

أ. **الأول الحوار المباشر** : وقد جرى مع الأشخاص الموقوفين في السجن، كما جرى مع أشخاص خارجه ممن يحملون فكرا متشددا.

ب. **الثاني الحوار غير المباشر** : في مختلف وسائل الإعلام للرد على الشبهات المثارة من أجل تصحيح المفاهيم الخاطئة في القضايا التي يدور حولها الحوار، وترسيخ المفاهيم الصحيحة.

3. أسلوب الحوار

- مراعاة ظروف المعتقلين النفسية
- احترام مكانتهم العلمية، فكثير منهم يحفظون القرآن الكريم ويحفظون آلاف الأحاديث من سنة الرسول (صلي الله عليه وسلم)
- توزيع الأعداد الشباب إلي مجموعات حوار، كل مجموعة من خمسة إلي سبعة أشخاص
- توزيع مواضيع الحوار علي أعضاء اللجنة حسب الرغبة والتخصص

- إيجاد مناخ مناسب للحوار بما يكفل إتاحة الفرصة لكل واحد من الشباب لإبداء رأيه في الحوار ونتائجه وإشعارهم بأن الحوار يتم بين أطراف متكافئة

4. مواضيع الحوار

- القناعات الفكرية والآراء الفقهية المخالفة لما اتفق عليه جمهور علماء المسلمين
- مفهوم الجهاد في الإسلام وأحكامه
- **الالتزام بالدستور والقوانين النافذة**
- التكفير والهجرة
- **حقوق غير المسلمين في البلاد الإسلامية**
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- والشروط اللازمة لتغيير المنكر باليد
- ونظام الحسبة في الإسلام

5. هدف الحوار

- اقتلاع الجذور الفكرية للتطرف والإرهاب
- نزع فتيل المواجهة بين السلطة وبين الشباب المتشددين.
- **الالتزام بالدستور والقوانين النافذة**
- تعزيز حماية الحقوق التي كفلها الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي
- **تعزيز احترام المعاهدات القائمة بين الجمهورية اليمنية وبين الدول غير الإسلامية وحماية سفاراتها ومصالحها**
- وتحقيق أمن واستقرار الجمهورية اليمنية وتأمين من يدخل إلي أراضيها بإذن من السلطات المختصة في الدولة.

ثانيا : المملكة العربية السعودية واستراتيجية القوة الذكية لمحاربة الإرهاب

بدأت المملكة العربية السعودية سنة 2006 استراتيجية جديدة لمحاربة الإرهاب ترتكز على ما يسميه السفير السعودي علي بن عواض عسيري **" القفازات الناعمة"** والتي تقوم على ثلاثة أسس هي (: **الوقاية وإعادة التأهيل والنقاهة**) بناء على أربعة برامج هي:

1)برنامج الوقاية

2) برنامج المناصحة

3) برنامج الرعاية

4)وبرنامج المتابعة.

أ. **برنامج الوقاية :** يهدف برنامج الوقاية إلى معالجة الجذور، والحيلولة دون خلق بيئة حاضنة للفكر المتطرف ومن أهم أدواته: **(مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني)** الذي يسعى إلى توفير البيئة الملائمة الداعمة للحوار الوطني بين أفراد المجتمع وفئاته بما يحقق المصلحة العامة ويحافظ على الوحدة الوطنية المبنية على العقيدة الإسلامية ، وذلك من خلال عدد من الأهداف منها:

- الإسهام في صياغة الخطاب الإسلامي الصحيح المبني على الوسطية والاعتدال داخل المملكة وخارجها من خلال الحوار
- رسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع ليصبح أسلوبًا للحياة ومنهجاً للتعامل مع مختلف القضايا
- بلورة رؤى استراتيجية للحوار الوطني وضمان تفعيل مخرجاته.

- يوجد لهذا المركز موقع الكتروني بأربع لغات عالمية (العربية الانجليزية الفرنسية الاسبانية)

ب. **برنامج المناصحة** تقوده لجنة استشارية يوجد مركزها الرئيسي في الرياض ولها تمثيل في (7) مدن، وتنبثق منها (4) لجان:

- لجنة دينية يعمل فيها أكثر من (150)عالماً
- لجنة اجتماعية ونفسية يعمل فيها أكثر من (50)عالماً
- لجنة إعلامية تشرف على تقدير البرامج التي تحارب الارهاب، ومن أهم البرامج التي قدمت (برنامج العائدون إلى الحق)، الذي قدم تجربة الشباب الذين غُرر بهم وانضموا إلى تنظيمات متشددة.

وقد عقد برنامج المناصحة أكثر من (5000) جلسة (يعمل داخل السجون)

ج. **برنامج الرعاية** : تتبع له (5) مراكز دائمة موزعة في مناطق متفرقة في المملكة، ويستغرق البرنامج مدة زمنية تتراوح من (8 - 12) أسبوعاً، وتُسمى هذه المرحلة **بيوت منتصف الطريق**، وينضم إلى برنامج الرعاية من استطاع تخطي برنامج المناصحة بعد إقرار جميع اللجان بأن هذا الموقوف المغرر به أصبح قادراً على الانتقال إلى المرحلة التالية. فبرنامج الرعاية يهدف إلى إعادة المغرر بهم إلى المجتمع باعتبارهم مواطنين صالحين منتجين سليمي الفكر والعقيدة.

ويُقدم هذا البرنامج دعما اجتماعيا للشباب المستهدفين يشمل المساعدة في الحصول على العمل، والتشجيع على الزواج **(أثبتت الدراسات أن المتزوجين والذين لديهم أطفال هم أقل ميلاً للانضمام إلى هذه التنظيمات الإرهابية)** والمساعدة على تجهيز المسكن وتأمين الأثاث. بعد انقضاء

(12) أسبوعا كحد أعلى، يخضع الموقوف لتقييم من علماء الدين والعلماء الاجتماعيين والنفسيين والأجهزة الأمنية للتأكد من أنه اجتاز هذه المرحلة بنجاح.

ويندر برنامجا "المصالحة" و"الرعاية" تحت مظلة (**برنامج الإرشاد الاستراتيجي**) والذي تشرف عليه وزارة الداخلية السعودية، وهو مؤطر بفلسفة (**الميل إلى فعل الخير**).

وقد حقق هذا البرنامج نجاحاً ملموسا بنسبة (95%)

د. **برنامج المتابعة:** وهو مخصص لمتابعة المفرج عنهم للتأكد من عدم انتكاستهم وتفادي ذلك قدر الإمكان.

وقد أنجز معهد كارنيغي دراسة عن التجربة السعودية سنة 2008 تحت عنوان "**الاستراتيجية السعودية اللينة في مكافحة الإرهاب: الوقاية وإعادة التأهيل والنقاهة** " أعدها كريستوفر بوشيك

كما ألف السفير السعودي علي بن عواض عسيري كتابا عن التجربة السعودية سنة 2010 باللغة الانجليزية سماه : "مكافحة الإرهاب: دور السعودية في الحرب على الإرهاب"

ثالثا: موريتانيا وتجربة الحوار

أطلقت الحكومة الموريتانية بتاريخ 01/18/ 2010 حوارا مع السلفيين المعتقلين في السجن المركزي الموريتاني

خطوات الحوار

أ. **إقامة ندوة فكرية تمهيدية لمدة 4 أيام**

كانت الخطوة الأولى بندوة نظمتها **وزارة الشؤون الإسلامية** الموريتانية تحت عنوان **"الإسلام وجدلية الاعتدال والغلو في الفهم والسلوك "** افتتحها رئيس الجمهورية، وحضرها الوزير الاول وأعضاء الحكومة وعدد من العلماء والمنتخبين ، وكان من توصياتها إقامة حوار مباشر مع السجناء السلفيين.

ب.**تشكيل لجنة وزارية** (وزير الداخلية ووزير العدل ووزير الشؤون الاسلامية)

ج. **تشكيل لجنة من العلماء** تتكون من 17 عضوا، وقد اجتمعت هذه اللجنة وخططت لهذا الحوار، وسرعان ما تم تقلص أعضائها بعد بداية الحوار إلى ثلاثة أعضاء فقط هم (الشيخ محمد الحسن الددو، الفقيه محمد المختار ولد امباله، الشيخ أحمد مزيد ولد عبد الحق)

د. **افتتاح الحوار مع المعتقلين في جلسة علنية** تحت شعار **" الحوار الفكري مع سجناء السجن المركزي"** حول الاعتدال والتطرف في الفهم والسلوك تحت شعار **{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن }** من 01/18/ 2010 إلى 2010/01/20 .

وقد كان واضحا قبل بداية الحوار ان المعتقلين ينقسمون إلى مجموعتين:

- المجموعة الأولى: وهي التي أظهرت تمسكا بمواقفها وآرائها وتحمسا للدفاع عنها (مجموعة القاعدة)..

- المجموعة الثانية: وهي الاكثر وكان لديها استعداد مسبق لفتح صفحة جديدة مع السلطة، وتبحث عن وسيلة للخروج من السجن.

وقد تحدث في جلسة الافتتاح ممثل الجناح المتشدد فعبر عن استعدادهم للحوار بشرط أن يكون بحضور وسائل الاعلام، حتى تنقله

للناس ليعرفوا المحق من المبطل حتى يرجع المخطئ ويتوب، وجدد تمسكهم بحقهم الشرعي بثلاث مسائل

1. مقارعة الكفار حتى يخرجوا من جميع أرض المسلمين
2. ومقارعة الحكام المرتدين الذين يحكمون بلاد المسلمين، لإزاحتهم عن رقاب المسلمين
3. وانهم لا يكفرون الشعوب المسلمة..

بينما اكتفى ممثل الجناح الداعي للحوار بالتبرؤ من كلام ممثل الجناح المتشدد والترحيب بالعلماء...وقد رد عليه ممثل الجناح المتشدد بأنه يتحدث باسم من حملوا السلاح ضد الكفار

1)أهداف الحوار

يلخص الشيخ محمد الحسن ولد الددو أهداف الحوار في ثلاثة أهداف هي:

- **هدف شرعي** وهو إظهار براءة الإسلام من الأفكار المنحرفة كالتكفير والاعتداء وحمل السلاح في بلاد المسلمين على المسلمين وعلى المستأمنين وإخافة الطريق ونحو ذلك
- **هدف اجتماعي** وهو رفع الظلم عن المظلومين وتخفيف معاناة هؤلاء السجناء الذين مضت عليهم سنوات لم يلتقوا فيها بأزواجهم ولم يقوموا بأعمالهم وأسرهم هم العائلون لها والقائمون عليها
- **هدف أمني** هو تجنيب البلاد مثل هذه المشكلات

2)مواضيع الحوار

- تكفير الحاكم ومن يساعده في مستوى معين
- إباحة دماء الرعايا الغربيين في البلد وأموالهم
- تعطيل الأحكام الشرعية

- تكفير الحاكم الذي لا يحكم بشرع الله
- تكفير من لم يكفر الكافر
- الولاء والبراء
- اعانة الكفار في حرب المسلمين

3)نتائج الحوار

- **إصدار عفو عن بعض الشباب** الذين عبروا عن تمسكهم بالحوار ونبذهم العنف
- **منح كل واحد من أفراد المجموعة المعفو عنها** قرضا لتمويل مشروع صغير مدر للدخل مقداره (2000.000 أوقية)

ملاحظات على الحوار مع السلفيين في موريتانيا:

يمكن لأي باحث أن يرصد جملة من عوامل القصور في تجربة الحوار مع السلفيين في موريتانيا

- **الارتجال** حيث لم يتم التخطيط لهذا الحوار بشكل كاف يضمن " تشخيص الظاهرة، الوقاية، العلاج، الدمج، المتابعة)؛ وهو ما يتجلى في تشكيل لجنة من 17 عضوا، اغلبهم من حلفاء الأنظمة المتعاقبة، ثم تقليص العدد إلى 3
- **عدم صدور أي وثيقة عن هؤلاء المعتقلين** تفند آراءهم الفكرية التي دفعتهم إلى "العنف"، وتدحض مقولاتهم المتشددة، وتثبت انهم تحولوا فكريا بدل الاكتفاء بتصريحات مرتجلة في لقاءات عابرة أو مقابلات تلفزيونية.
- أن الحوار لم يأخذ الوقت الكافي لتصحيح المفاهيم وتغيير العقليات الراسخة، وبناء قناعات جديدة مكانها، بغية تغيير السلوكيات لذلك يقول أحد السجناء الذين شملهم الحوار :"قد يكون هناك من تعهد بعدم حمل السلاح ..أما تغيير الأفكار والقناعات الشرعية فلا يمكن أن يحدث من خلال جلسة لا تتجاوز ساعة أو نصف ساعة"

- عدم توسيع الحوار ليشمل من يحمل "فكرا متطرفا " داخل السجن وخارجه، لأن وجود التطرف بالقوة هو المقدمة لوجوده بالفعل.
- عدم تطرق النقاش للقضايا المعاصرة (الدستور، القانون، الديمقراطية)
- عدم صدور وثائق عن الندوة الممهدة للحوار ولا عن الحوار نفسه
- عدم استعمال الحوار غير المباشر في وسائل الاعلام (القنوات الفضائية، الاذاعات، المواقع الالكترونية) بشكل مكثف ومدروس من اجل تغيير المفاهيم
- **عدم وجود لجنة لمتابعة الحوار** علما أن عدد الشباب المتهمين بالتطرف قفز من 3 أو 5 سنة1994م إلى عشرات أو مئات سنة 2010م
- **أن منهج الحوار** كان منهجا "تقليديا" يزاوج بين الوعظ والتدريس (بالنسبة إلى المجموعة المرحبة بالحوار) واسلوب الجدل والمناظرة المتعارف عليه عند الأقدمين (الحوار مع الجناح المتشدد)، حسبما يستنتج من مقابلات الشيخ الددو حيث يقول : "ومن ذلك شبهة تعطيل الأحكام الشرعية، فقلنا لهم إننا لا ننكر أن الكثير من الدول الإسلامية عطلت الكثير من الأحكام الشرعية ونحن نطالبها بتنفيذها، لكننا نرى أن هذا التعطيل ليس تبديلا، والتبديل كفر والتعطيل ليس كفرا، وعدم التفريق بين التعطيل والتبديل هو الذي أدى إلى حصول هذا الانحراف في الفكر، وقد أقنعناهم أن الذي يُكفّر به هو تبديل شرع الله" اهـ، وسرعان ما جاء رد التيار المتشدد على حجج الشيخ الددو بنفس المنهج والطريقة يقول صاحب رسالة الانتصار للسجناء: " هؤلاء الحكام الذين نتحدث عنهم يتعلق كفرهم بثلاث مناطات مكفرة هي: التعطيل، والتبديل ، والتشريع . وكل واحد من هذه الثلاث يكفي وحده للحكم

بالكفر على المتلبس به . وإذا كان ولد الددو جادل في التكفير بالتعطيل فقد سلم هنا بكون التبديل مكفرا، وسلم أيضا بأن التشريع مناط للكفر"، ثم أردف قائلا :"القول بالتفريق بين التبديل والتعطيل يتبين فساده من عدة وجوه..."

i. خاتمة

افد دار الحوار بين الفقهاء الموريتانيين والشباب المتشددين على أرضية التراث الفقهي الموروث، وفق الرؤية نفسها والمنهج المعرفي ذاته، وإن اختلفت الاستنتاجات نتيجة اختلاف السن، وتقدير المصالح والمفاسد، وهو ما يوجد في العادة بين فقهاء المدرسة الواحدة، لكن منهج التفكير لم يتغير، وزاوية الرؤية لم تتبدل، وأدوات الاستنباط والفهم هي نفس الادوات التي يستعملها الطرفان. ولم تكن هناك محاولة لتفكيك النسق الفكري الصارم الذي يتبناه هؤلاء الشباب، والذي انتج رؤاهم وافكارهم ومواقفهم

ومن يطالع رسالة "الانتصار للسجناء الابرار في فتنة الحوار" التي ألفها أحد السلفيين الموريتانيين المعارضين للحوار مع الحكومة في الرد على الشيخ محمد الحسن ولد الددو، يجد ان مؤلفها يمتاح من كتب المالكية التي يمتاح منها كبار علماء هذه البلاد: " ابن عبد البر عياض الشاطبي مختصر خليل، الحطاب، الدردير، الدسوقي، ابن بشير ، المواق، عليش...الخ" كما يستشهد بكلام العلماء الشناقطة (آب ولد اخطور، العلامة سيدي عبدُ الله والد الحاج إبراهيم " ويأخذ من مراجع المذاهب الإسلامية الأخرى "ابن حزم، والسرخسى، الرازي، والسبكي، وابن حجر، والمناوي، والزركشي، والشوكاني..الخ "، ويناقش الشيخ محمد الحسن الددو بالمنطق نفسه، والمنهج ذاته الذي يستخدمه الشيخ.

وهذا ما يبين أن الإشكالية لا تنحصر في ظاهرة عنف عابرة بل تكمن في حاجة المسلمين إلى مشروع فكري شامل من شأنه أن يسهم في

مراجعة تفكيرنا ومناهجنا المعرفية وبنياتنا الذهنية بغية إحداث تحول حضاري، يكون بمثابة إعادة التأسيس لثقافتنا من جديد، كما حدث في بداية الإسلام بعد عصر النبوة بقليل حيث انكب المسلمون على البحث والفكر لمواجهة تحديات المرحلة التاريخية التي واجهتهم بسبب دخول الناس في دين الله أفواجا، فقعدوا القواعد في جميع المعارف العربية والإسلامية، واستنبطوا المناهج العلمية الصارمة.

محمد المهدي ولد محمد البشير